تقديـــــم

بقلم : الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم بكر
رئيس هيئة الآثار المصرية سابقا

وقف الخلـق ينظــرون جميعـا كيف أبنى قواعـد المجـد وحـدى
وبنـاة الأهـرام فـى سالف الدهـر كفونـى الكـلام عنــد التحــدى

بلهجة الواثق من عظمة المصرى فى تأسيس وبناء الحضارات الإنسانية ، تتحدث مصر عن نفسها على لسان حافظ إبراهيم شاعر النيل ، وبنفس القدر والصفاء والثقة يتناول الأديب والمؤرخ الأستاذ / مختار السويفى بأسلوبه الأدبى دور الشعب المصرى فى إبهار العالم قديمة وحديثه بإنجازاته فى شتى مجالات الحياة الفكرية والمادية ، منذ أن كانت الإنسانية تمشى خطواتها الأولى على أرض وادى النيل الذى أمدّها بمقومات الحضارة ، فأمسكت بها تنسج منها أبدع الأعمال لترد على النيل جميله ، وتبعث الحضارة لتنير فى جنباته على طول واديه ، فى ريادة غير مسبوقة ، وأصالة صادقة .

وتبارت أفكار المصريين وسواعدهم فى تهذيب الطبيعة من حولهم ، فقدموا نماذج رائعة من الفكر الإنسانى ، ممثلا فى إدراكهم لقيمة عمل الخير ومقاومة الشر ، وتوصلوا إلى خلاصة أن أقصى ما يبغيه المرء من حياته الدنيا أن يترك وراءه « الذكر الحسن » وأن يعمل صالحاً يرضاه الإله ، يوم توزن أمامه أعمال الإنسان عندما يبعث ، فيكافأ على خير ما عمل ويجازى على ما اقترف من آثام .

وفى مجال الأدب الراقى أهدت مصر الأدب العالمى نماذج فريدة من أدب الرحلات ،

obeikandl.com

ومن الأدب التعليمى والأدب السياسى نماذج راقية ، أما الأدب الدينى فحدِّث ولا حرج ، إذ أن المصريين لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا أخضعوها لقوة الملاحظة والتأمل ، فجمعوا خلال تاريخهم الطويل المتصل تراثاً زاخراً بالمعارف ، وليس آخرها تعرفهم على الأبراج الفلكية ، وهم الذين أطلقوا عليها أسماءها التى مازالت تعرف بها مثل برج الأسد وبرج الثور وبرج الحوت . . إلخ .

وفى متحف اللوفر بباريس صورة مرسومة بوضوح للأبراج السماوية على سقف حجرى لإحدى الغرف العلوية لمعبد دندرة فى محافظة قنا ، علاوة على ما عثر عليه من رسوم فى المقبرة الصخرية للمهندس سننموت مهندس الملكة حتشبسوت . وهذا مجرد مثال .

ومنذ قديم الأزل وحتى الآن تغنى المصريون بأفضال النيل على حياتهم وحضارتهم ، ويعتبر ذلك صدى لما كان يتغنى به المحب المصرى منذ آلاف السنين على أنغام الناى وغيره من الآلات الموسيقية كالقيثارة والأرغول والطنبور والدف وآلات الإيقاع الأخرى التى ابتدعها المصريون لإضفاء البهجة والمرح فأعطوا لحياتهم طعماً عذباً ممتعاً .

وما أبدعه المصريون فى مجال الإنجاز المادى لا يمكن أن يقارن ، فهندسة عمارة الأهرام والمعابد وتأسيس المدن وحفر الأنفاق لبناء مقابرهم فى جوف صخور الجبال وبناء القصور ، تقوم كلها شاهداً على مهارة فائقة فى هندسة التصميم النظرى ودقة التنفيذ العملى وحسن الإدارة فى إنجاز تلك الأعمال الجبارة . ووضع المصريون تنظيماً مستقراً لمؤسسات الحكم وإدارة شئون البلاد ، واستطاعت مصر أن تدافع عن حضارتها المتقدمة فى مواجهة تحديات ما نَبُتَ حولها من أخطار العدوان ، وتولت العسكرية المصرية هذا الدور بجدارة ، وأرسيت مبادىء وتقاليد ما زالت تدرس فى العلوم العسكرية .

والأستاذ / مختار السويفى عاصر معى الزمن الثقافى الجميل ، زمن طه حسين ، والعقاد ، وتوفيق الحكيم ، وأم كلثوم ، وعبد الوهاب ، والريحانى ، ويوسف وهبى ، وغيرهم . وعشنا حرارة النضال ضد الاستعمار وسافر كل منا إلى أركان العالم نجمع رحيق الثقافة .

وهكذا استوعب مختار السويفى الثقافة من منابعها الأصيلة حين كان تكوين الشخصية يجرى تسويته على نار هادئة .

ولقد ذاع الرأى حيناً بأن كل ما يكتب عن قدماء المصريين يقدم بطريقة بعيدة عن التشويق ، تفرط فى الحديث عن الموت والدفن والجنازة والمقابر والقرابين والتمائم وعبادة الحيوان .

ولكن مختار السويفى استطاع أن يتخطى تلك الحواجز ، ويتجنب تلك المحاذير ، فهو يقرأ بشغف وحب ، ويستوعب ما يقرأ ، ثم يقوم بتقديمه لكل القراء ، ولم تنقصه البساطة فى عرض الموضوع مع المحافظة على الأسلوب الأدبى الرفيع ، ورأف فعلا بالقوارير فقدم إنتاجه أيضا لغير المتخصصين .

ومعالجات مختار السويفى لجوانب هامة لحضارة قدماء المصريين بطريقته السلسة سوف تكون مادة غنية جاهزة فى متناول كتاب المسرح ، ومخرجى السينما ليقدموا تاريخا مبهرا مستوفيا لكل عناصر الدراما الإنسانية بكل جوانبها . وكانت مصر وستظل دوما هبة أبنائها المصريين وقدرتهم الفائقة على صنع الحضارة .

القاهرة : فبراير ٢٠٠٠

أ . د محمد إبراهيم بكر
رئس هيئة الآثار المصرية سابقا
واستاذ الحضارة والآثار المصرية
وعميد المعهد العالى للحضارات القديمة
بجامعة الزقازيق